[77] والسميع كالاصم، عابه قوم فقتلوه، وغدره قوم فلم ينصروه، فكذبوا الغائب واتهموا الشاهد وقد بايع الناس عليا على منبر رسول ا صلى ا عليه وسلم بيعة عامة، من رغب عنها رد إليها صاغرا داحرا، فانظروا في ثلاث وثلاث، ثم اقضوا على أنفسكم: أين الشام من الحجاز ؟ وأين معاوية من علي ؟ وأين أنتم من المهاجرين والانصار والتابعين لهم بالاحسان ؟ قال: فغضب معاوية لقوله وقال: يا حجاج، أنت صاحب زيد بن ثابت يوم الدار ؟ قال نعم، فإن كان بلغك وإلا أحدثك، قال: هات. قال: أشرف علينا زيد بن ثابت، وكان مع عثمان في الدار، وقال: يا معشر الانصار، انصروا ا (مرتين)، فقلت: يا زيد، إنا نكره أن نلقى ا فنقول كما قال القوم: " ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا -، فقال معاوية: انصرف إلى علي، وأعلمه أن رسولي على إثرك. ثم إن معاوية انتخب رجلا من عبس، وكان له لسان، فكتب معاوية إلى على كتابا عنوانه: " من معاوية إلى علي، وداخله: بسم ا الرحمن الرحيم لا غير ". فلما قدم الرسول دفع الكتاب إلى علي، فعرف علي ما فيه، وأن معاوية محارب له، وأنه لا يجيبه إلى شئ مما يريد، وقام رسول معاوية خطيبا، فحمد ا وأثنى عليه، ثم قال: هل ها هنا أحد من أبناء قيس عيلان، وبني عبس وذبيان ؟ قالوا: نعم، هم حولك، قال: فاسمعوا ما أقول لكم، يا معشر قيس، إني أحلف با لقد خلفت بالشام خمسين ألف شيخ، خاضبين لحاهم من دموع أعينهم تحت قميص عثمان، رافعيه على الرماح مخصوبا بدمائه، قد أعطوا ا عهدا أن لا يغمدوا سيوفهم، ولا يغمضوا جفونهم، حتى يقتلوا قتلة عثمان، يوصى به الميت الحي، ويرثه الحي من الميت، حتى وا نشأ عليه الصبي، وهاجر عليه الاعرابي، وترك القوم تعس الشيطان، وقالوا: تعسا لقتلة عثمان، وأحلف با ليأتينكم من خضر (1) الخيل اثنا عشر ألفا، فانظروا كم الشهب (2) وغيرها ؟ فقال له علي: ما يريدون بذلك ؟ قال: يريدون بذلك وا خبط رقبتك. فقال علي: تربت يداك، وكذب فوك، أما وا لو أن رسولا قتل لقتلتك. فقام الصلت بن زفر فقال: بئس وافد أهل الشام أنت ورائد أهل العراق، ونعم العون لعلي، وبئس العون لمعاوية، يا أخا عبس أتخوف المهاجرين والانصار بخضر الخيل، وغضب الرجال ؟ أما وا ما نخاف غضب رجالك، ولا خضر خيلك، فأما بكاء أهل الشام على غميص عثمان، فو ا ما هو بقميص يوسف ولا بحزن يعقوب، ولئن بكوا عليه بالشام، لقد خذلوه بالحجاز، وأما قتالهم عليا، فإن ا

---

(1) خضر الخيل: الخيل الخضر: خيل في لونها غبرة مع سواد. (2) الشهب: البيض. (*)